الفصل الأول

بحثا عن التعريفات والمناهج

اعتمدنا فى هذا الفصل على:ـ

1 - MODERN DIPLOMACY, THE ART AND THE ARTISANS.

Edited by: Elner - Plisch - ke, Amenicav Interpise Institute, 1979

2 - RONALD P., BARSON, MODERN DIPLOMACY, LONG MAN, LONDON, NEWS.,1992.

- K.N. PANIKKAR, THE PRENCIPLE AND PRACTICES of DIPLOMACY, ASIA PULSLISLUNG HOUOE. BOMBAY

تتعدد تعريفات الدبلوماسية وتتنوع: فثمة ما تحصرها فى عملية التفاوض، وبهذا الشكل تعتبرها أنها «إدارة العلاقات عن طريق التفاوض»، وهى «استخدام شخصيات معتمدة ACCREDITED لإدارة العلاقات بين الحكومات»، وتتخذ تعريفا بسيطا باعتبارها «الطريقة التى تدار بها العلاقات الدولية»، ويعطى أحد التعريفات أهمية خاصة للدبلوماسية ودورها فهى «خط الدفاع الأول»، وهى «الفن والعلم الذى تحاول به الدولة تحقيق أهدافها فى السياسة الخارجية وتفادى الصراع المسلح»، بهذا المعنى يمكن القول «أن الدبلوماسية تنتهى حين تبدأ الحرب، وتبدأ حيث تنتهى» وبهذا المعنى أيضا فإن «الدبلوماسية والاستراتيجية هما جوانب مكملة لهذه السياسة وهى فن إدارة العلاقات مع دول أخرى لإنماء المصلحة الوطنية».

ويعرفها سير آرنست ستاتو ERNEST STATOW بأنها «تطبيق الحيلة والذكاء فى إدارة العلاقات الرسمية بين الحكومات والدول المستقلة».

ويعرف قاموس إسكفورد الدبلوماسية «بأنها إدارة العلاقات الدولية عن طريق المفاوضات، والمنهج والأسلوب الذى يدار بسفراء ومبعوثين، وهى عمل وفن الدبلوماسى».

ويضيق ويتسع تعريف الدبلوماسية من مؤرخ لآخر، فبينما يحصرها البعض كما رأينا فى المفاوضات، يعطى لها البعض الآخر وظائفاً أوسع ويجعلونها تشمل: التمثيل PRESENTATION باعتبار أن المبعوث الدبلوماسى هو ممثل بلده والمتحدث باسمها والمفوض لكى يفعل ذلك، والمفاوضة NEGoTIATION كأحد وظائف ومهام الدبلوماسى ـ وليس كل وظائفه ـ وبمقتضاها فهو مفوض للتفاوض باسم حكومته للتوصل إلى اتفاق AGREEMENT أو معاهدة TREATY وهو قد يقوم بذلك بمفرده أو بمساعدة معاونين أو مستشارين إما من سفارته أو توفدهم له حكومته. وكتابة التقارير REPORTING وهى الأداة التى يوصل بها إلى حكومته كل ما يسمعه ويقرأه ويراه عن أوضاع البلد الممثل فيها واتجاهاتها ومواقفها وكذلك نتائج اتصالاته ومقابلاته مع المسئولين حول أمور وقضايا العلاقات بين البلدين سواء المتصلة بعلاقاتهما الثنائية أو مواقعهما من قضايا اقليمية أو دولية تهمهما. وقد يأخذ التقرير عدة أشكال وفقا لمضمونه، وحجمه، ودرجة سريته، وعجلته URGENCY ، ووفقا لهذا فقد يأخذ شكل خطاب LETTER ، أو مذكرة NOTE، أو تقرير REPORT ، وكل هذه الأشكال ترسل بالبريد من خلال الحقائب الدبلوماسية DIPLOMATIC VOUCHE ، والتى قد تكون عادية أو غير مصحوبة

UNACCOMBANIED أو مع حامل حقيبة DIPLOMATIC COURAIER الامر الذى يحدده درجة سرية وعجلة المكاتبات. كما قد يكون هناك من المعلومات التى يود المبعوث الدبلوماسى إبلاغها لحكومته على وجه السرعة، ولهذا فقد تأخذ شكل البرقية TEL-EGRAM ، فإذا لم يكن له درجة سرية، فيتم إرساله بالتلكس، أو الفاكس، أما إذا تضمنت معلومات على درجة عالية من السرية فإنها ترسل برقية رمزية عن طريق الشفرة CODE . أما الوظيفة الرئيسية الرابعة التى يتضمنها التعريف الواسع للدبلوماسية فهى: حماية المصالح PROTECTING OF INTERESTS وهى وظيفة تتضمن فى ذاتها معنى واسعا يشمل كل ما يمس مصالح بلاده فى الدولة المعتمد لديها فى كل المجالات.

ويعرف الدبلوماسي البريطانى البارز BARSON الدبلوماسية بأنها تعنى بالنصح، وصياغة، وتنفيذ السياسة الخارجية ADVISING, SHAPING AND ImpLEMENTING OF FOREIGN POLICY

وهذا التعريف لا ينظر إلى الدبلوماسية باعتبارها فقط أداة تنفيذ السياسة الخارجية، وإنما على أنها أيضا تساهم فى توجيه وصياغة هذه السياسة. وهو ما نستطيع أن نرى منطقه واتساقه مع الممارسة الدبلوماسية الفعلية، ذلك أنه لا شك أن تقارير ، وتقديرات ونصائح السفير حول قضية من القضايا أو أوضع ما فى علاقة بلاده بالبلد المعتمد فيها، أو حول وضع أو حدث إقليمى، إنما يساهم فى تحديد حكومته لمواقفها من كل ذلك.

وتثير تعريفات الدبلوماسية ووظائفها العلاقة بين الدبلوماسية وقضايا هامة مثل السلام. وقد تصور البعض توافقا مطلقا بين الدبلوماسية والسلام وإلى حد جعلهم يطلقون على وزارات الخارجية: وزارة السلام DEPARTEMENT OF PEACE وقد يكون هذا التصور عن حق باعتبار أن جوهر الدبلوماسية هو تسوية الخلافات بالطرق السلمية وخلق بيئة وعلاقات سلمية وتعاونية أو على الأقل تفادى الصدام والمواجهة مستخدمة فى ذلك إلى جانب الجهود اليومية للمبعوث الدبلوماسى، أساليب مثل: التوفيق ACOMMODATION والوساطة MEDIATION ، والتصالح CONCILIATION ، والمفاوضة NEGATIATION . هذا الترابط بين الدبلوماسية والسلام هو الذى جعل هانز مورجانتو يعتقد: أن الدبلوماسية التى تنتهى بالحرب تكون قد فشلت فى مهمتها الأولى وهى تنمية المصالح الوطنية بالطرق السلمية.

غير أنه رغم الترابط القائم بين الدبلوماسية والسلام إلا أنه من ناحية أخرى، فإن الدبلوماسية والحرب ليسا منفصلين تماما. وكما يوضح كوفيس رايت «إن الدبلوماسية

يمكن أن تعمل لخلق ظروف ملائمة للحرب وللمساعدة فى كسب الحرب واستخلاص أقصى ميزة لكسب الحرب أو تقليل ما قد يترتب على خسارتها»، ويستخلص «أن الدبلوماسية مكملة للحرب، وهى أيضا، وفى بعض الظروف بديل لها».

وترتبط تعريفات الدبلوماسية، منهجيا ووظيفيا: بمقاصدها وأهدافها، وهذه الأهداف تتضمن أهدافا ووظائفا رئيسية، كما تتضمن تقسيمات فرعية، وجميعها تصب وتحدد مهام المبعوث الدبلوماسى ومسئولياته.

فيما يتعلق بالأهداف ومجالات العمل العريضة للدبلوماسية، يحدد مؤرخى الدبلوماسية عددا من الأهداف: وأول هذه الأهداف هو التمثيل REPRESNTATION وهو يشمل التمثيل الرسمى FORMALE والذى يتضمن تقديم أوراق الاعتماد PAESENTATION OF CREDENTIALS، والبروتوكول وشئون المراسم، والاشتراك فى الجوانب الاجتماعية للمجتمع الدبلوماسى، غير أن أهم مظهر لهذه الوظيفة هو التمثيل ذو المضمون SUPSTANTIVE والذى يتضمن شرح والدفاع عن السياسات القومية وتفسير السياسات الخارجية والداخلية للدولة المستقبلة. وفى نطاق التمثيل ذو المضمون فإن السفارة إذا كانت تعمل بشكل صحيح فإن عليها أن تحدد القضايا الرئيسية فى صلاتها بين حكومتها والبلد التى تعمل فيها. وكما يلاحظ همفرى تريفيليان «بالإضافة إلى التفاوض، فإن هدف السفير الأساسى هو أن يبعث بتقاريره حول الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى البلد التى يعمل فيها، وعن أحاديثه مع القادة السياسيين والرسميين والشخصيات العامة الذين لهم تأثير على المسرح الداخلى. وأهم من كل شىء فإن التقرير الذى يجىء فى وقته حول التطورات المعاكسة هو أحد الوظائف الرئيسية للسفارة وهو يتطلب خبرة كبيرة، وقدرة على الحكم وشجاعة سياسية».

أما الوظيفة الثالثة فهى الإعداد لمبادرات وسياسات جديدة فى العلاقات بين البلدين، فتطوير وديناميكية هذه العلاقات تتطلب فتح مجالات وآفاق جديدة لها فى الميادين المختلفة، والمبعوث الدبلوماسى المقيم هو المهيأ لاقتراح وطرح أفكار جديدة بحكم وعيه وبظروف إمكانيات بلده والبلد الذى يعمل فيه والمجالات التى يمكن أن يلتقيا ويتعاونا فيها.

وكاستمرار لوظيفة الدبلوماسية فى ضمان علاقات وبيئة سلمية بين البلدين، فإن اهتمام الدبلوماسية ينصب فى حالة نشوء بوادر صراع أو تطوره على التخفيض منه ومحاولة حصره، والعمل على إعلاء العناصر الأساسية والعوامل التى توحد بين البلدين أكثر من تلك التى تفرقهم سواء فى العلاقات الثنائية أو المتعددة.

وامتدادا لهذه الوظيفة الرئيسية، فإن الدبلوماسية مسئولة عن المساهمة فى عملية التغيير المنتظم ORDERLY CHANGE لعلاقات البلدين، وكما عبر آدم واطسون «فإن الهدف الرئيسى للدبلوماسية ليس فقط إدارة النظام وإنما إدارة التغير».

وأخيراً، وعلى مستوى أكثر عمومية، فإن ثمة وظيفة هامة للدبلوماسية هى خلق وصياغة وتعديل مجموعة واسعة من القواعد والقوانين الدولية التى تتضمن المعايير المنظمةNORMATIVE AND REGULATORY وهى فى ذاتها التى تقيم هيكل النظام الدولى.

وإجمالا لهذه الوظائف الأساسية للدبلوماسية وأهدافها العامة، يحدد مؤرخى الدبلوماسية هذه رسالة الدبلوماسية كما تستمد من هذه الأهداف فى ثلاث مجالات رئيسية:

١ ـ محاولة تحديد المصلحة المتبادلة MUTUAL INTEREST بين الدول من أجل تشجيع سياسة مشتركة.

٢ ـ إن لم يكن من الممكن تحقيق ذلك وانتفت إمكانية وجود مصالح مشتركة، يصبح مهمة الدبلوماسى تطوير توازى فى المصالح PARALLELISM بين الدول من أجل تشجيع سياسات مكملة CONMPLEMENTARY أو على الأقل غير متصارعة.

٣ ـ فإذا تعذر وجود مصالح متبادلة أو متوازية، تبقى مهمة إدارة عدم الاتفاق بين الدول لكى تظل بعيدة عن الحرب والصراع.

غير أنه فى تفصيل أهداف وغايات الدبلوماسية يجب أن نؤكد باستمرار أن الهدف الرئيسى لكل العلاقات الدبلوماسية هو حماية مصالح بلد الدبلوماسى. والمصلحة الأساسية لكل دولة هى بالطبع أمنها الخاص. غير أن أمن الدولة يمكن أن يتهدد لا بمجرد الغزو العسكرى، رغم أن هذا هو الشكل الكلاسيكى الذى ألفناه فى التاريخ، ولكن هذا الأمن يمكن أن يتهدد كذلك بالتسلل الاقتصادى، والتحكم فى مناطق استراتيجية حولها، وبضمان نفوذ سياسى داخل البلد .. إلخ... ولذلك فإنه هدف الدبلوماسية أن تكون متيقظة وأن تحبط سياسات الأمم الأخرى المناقضة لسياسات بلده.

ولكن كيف تعمل الدبلوماسية على حماية هذه المصالح؟ وبداءة فإنه يكفى القول أن السياسة الخارجية لدولة ما إنما توجه لتقوية العلاقات مع الدول الصديقة وتحييد القوى

المعادية لها. وبالمفاوضات تنشد الدولة أن تجمع حولها أصدقاء وحلفاء ومثل هذه الصداقات والتحالفات تنشأ فى بعض الأحيان من مصالح مشتركة، مثل خطر من عدو مشترك محتمل. ولكن حتى فى هذه الحالات فإن العمل الدبلوماسى الصبور والحريص ضرورى قبل أن يصبح من الممكن تحويل إدراك المصالح المشتركة إلى تحالف بتعهدات محددة.

أما تحييد القوى المعارضة لمصالح بلد الدبلوماسى فهو مظهر آخر لنفس السياسة. ويرتبط بذلك هدف جوهرى من أهداف السياسة الخارجية لبلد ما وهو منع دول أخرى من أن تتجمع ضدها، وهذا يعنى أنه قد يكون عليها أن تقبل حلولا وسطا مع بعضها، وأن تظهر التأييد ، أو أن تنكر العون والمساعدة عن أخرى. فإن فشلت كل هذه الأساليب وأصبح من الضرورى فى النهاية استخدام القوة فإنه واجب الدبلوماسية أن تضمن أنها تستخدم فى أكثر الظروف فائدة وأن تقنع العالم أن قضيتها عادلة وأنها تدافع عن حقوقها، وأنها ليست المعتدية. وقد كان من تفوق الدبلوماسية البريطانية والفرنسية خلال الحرب العالمية الأولى هو إقناعها العالم أن ما كانت حربا للمصالح الوطنية هى حرب لإنهاء الحرب ولإنقاذ المدنية، ولحماية المجتمع من أن يتحول إلى البربرية.

إن ثمة شىء واحد لا يمثل هدفا للدبلوماسية. وهو أن تصدر أحكاما أخلاقية على الآخرين أو أن تتصور أن هدفها هو أن تصحح أوضاع شعوب أخرى. إن شعوب العالم لا تحكم وفقا لنمط واحد، كما أنهم لا يعتنقون نفس العقائد السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فثمة ملكيات، وجمهوريات، وديكتاتوريات وديموقراطيات، ونظما شمولية، وجميعها تقوم على أساس قانونى وتعمل بفاعلية داخل أراضيها. وهم جميعا يتبعون مثلا اجتماعية مختلفة، ونظما اقتصادية ومذاهب سياسية وكلا منها مقتنعة أن نظامها هو الأفضل.

وباعتبار أن الهدف الأول للدبلوماسية هو حماية أمن بلدها والدفاع عن حقوقها، فإنه مما لا جدال فيه أن هذه الدبلوماسية يجب أن تعمل على أساس الأخذ والعطاء. فأى دبلوماسية تقوم على ما قد يعتبر أحد أنها حقائق نهائية ومطلقة محكوم عليه بالفشل. ومع هذا فإن هذا لا يعنى أن الدبلوماسيين لا يستخدمون غالبا لغة الأخلاقيات العالية فى أحاديثهم. وفى الحقيقة فإن تبرير وإعطاء أساس للمصلحة الذاتية فى ضوء معانى ذات

قيمة عالية مثل السلام العالمى، والحق الطبيعى للشعوب فى أن تكون حرة ، وقدسية الوعد، تبدو أكثر طبيعية فى الدبلوماسية والعلاقات الدولية من غيرها من مظاهر الحياة السياسية.

وما دام أن الهدف هو حماية المصالح الوطنية، فإن هناك حقيقة كبيرة فى وجهة النظر القائلة بأن وظيفة الدبلوماسى هى بناء حسن النية GOOD WILL وتنميتها بكل ما يمتلكه من مصادر. فإذا كانت ميول الدولة المعتمد لديها صديقة أو على الأقل ليست عدائية، فإن تنمية حسن النية تجاه بلده سوف يقوى الموقف الوطنى ويساعد على حماية مصالحها. وحتى فى بلد ذات ميول عدائية محتملة، فان هدف الدبلوماسية هو النضال من أجل حسن النية. وقد لا يكون من الممكن إقناع حكومة ما ضد سياستها المقررة، وضد الأتباع المتعمد لمصالح محددة والتى قد تتصارع مع مصالح بلد. ولكن علينا أيضا أن ندرك أنه ليس هناك بلد ما متماسك بشكل صلب فى مؤسساته ومنظماته، وليس هناك حكومة لا تدع مجالا للجماعات التى قد تعتقد بشكل حقيقى فى خطأ سياستها أو قد لا تقف موقف المؤيد لهؤلاء فى السلطة، وهكذا فإن خلق الدبلوماسى لحسن النية تجاه بلده أمر ممكن. إن اللورد TEMPLE WOOD ، والذى يعرف بشكل أفضل باسم سير صامويل هور SAMUEL HOARE يحكى فى مذكراته المتعلقة بالفترة التى كان فيها سفيرا لبريطانيا فى أسبانيا فرانكو خلال الحرب ما يقدم صورة مثيرة بالاهتمام حول نشاطاته فى بناء حسن النية نحو بريطانيا بين مجموعات لم تكن لا معادية ولا تؤيد بنشاط نظام فرانكو. ومن الأمور التى يجب أن نذكرها أن السير هور قد عين سفيرا فى وقت كانت أسبانيا تبدو فيه مرتبطة بشكل حازم بقضية ألمانيا الهتلرية. وقد وجد السفير نفسه مقاطعا ومعرض للعديد من الإهانات، وكانت مكانة المانيا فى أسبانيا فى قمتها، ومع هذا، ببطء وبحرص استطاع بناء رأى عام صديق حتى بين أنصار الفلانجز.

إن ثمة حالات عديدة فى التاريخ بددت فيها الدبلوماسية الرديئة حسن نية قائمة وتقليدية. ونتيجة للفشل فى استغلال الفرص التى طرحت نفسها، فان العلاقات غير الجيدة بين دول قد ساءت. لذلك كله، فإنه، وبشكل أساسى، وكما هو سائد فى كل العلاقات البشرية، فإن الوظيفة الأولى للدبلوماسى هى العمل على تدعيم صورة واسم بلده فى الدولة المعتمد لديها، واكتساب الاحترام لها، وخلق حسن النية تجاهها.

غير أنه مع افتراض أن أهداف الدبلوماسية قد تحددت بشكل جيد، والجهاز الذى سيتولي متابعتها قد أقيم على أساس متين، فإن النتائج المرغوبة سوف تعتمد بقدر كبير على الوسائل والمناهج المستخدمة. وكما أشرنا من قبل فإن حسن النية تجاه بلد الدبلوماسى يمكن فقط أن تخلق بجعل سياستها تفهم بشكل أفضل، وباكتساب الاحترام لها، وبالاعتراف بالمصالح المشروعة للشعوب الأخرى، وفوق كل شيء بالتعامل الأمين، لأنه فى الدبلوماسية كما هو الحال فى العلاقات الإنسانية الأخرى، فإن المرء يستطيع أن يكسب احتراما حقيقيا فقط من خلال التعامل الأمين والعادل. فالدبلوماسية من خلال المخادعة نادرا ما تساعد بلد ماعلى تحقيق أهدافها. ولهذا فإن أساليب الدبلوماسية تصبح أمرا هاما.

وباعتبار أن هدف الدبلوماسية هو حماية المصالح الحيوية لبلد الدبلوماسى، فإن عليه دائما أن يتذكر أن الشخص الذى يتعامل معه لديه تماما نفس الهدف فيما يتعلق ببلده. وهكذا فإن عليه أن يتعامل مع أشخاص مدربين ذوو خبرة وعلى وعى كامل بعناصر القوة والضعف فى الخصم. ففى مناقشة وزير خارجية البلد (أ) مع وزير خارجية البلد (ب) فهو يتعامل مع شخص من أهدافه حماية وإذا أمكن تدعيم مصالح بلده، والذى يبغى أن يقدم القليل وأن يحصل أكثر ما يستطيع بقدر الإمكان.

وهكذا فالأمر دائما هو التوفيق بين المصالح ، وبالحصول على شيء ما مقابل التنازل عن شيء ما، وبإقامة توازن أو التوصل إلى حل وسط. ووفقا لقاعدة الحلول الوسط : لا شيء مقابل لا شيء NOTHING FOR NOTHING ، فإن شيئا يجب أن يعطى إذا كان شيئا يجب أن يؤخذ. وما يعطى قد يكون وعدا بتأييد فى المستقبل، أو تعديل خط ما فى السياسة، أو اهتمام صديق فى مجال آخر، ولكن على المرء أن يتأكد أن بلد ما لن يتنازل عن درهم واحد من مصالحه ما لم يحصل على شيء فى المقابل فالدبلوماسية هى موضوع أخذ وعطاء.

وقد يكون من غير الضرورى مناقشة أخلاقيات الأخذ والعطاء ولكن المثل القديم بأن الأمانة هى أفضل سياسة، تمثل دبلوماسية جيدة. ومن الحقائق التى لا تنكر أن الدبلوماسى إذا فقد سمعته فى النية الطيبة والتعامل النزيه إنما يصبح عائقا لمصالح بلده التى يفترض أنه يدعمها. وبأساليب المخادعة كسبت بعض القوى الكبرى مزايا غير عادلة من أمم ضعيفة. وثمة حالة سيئة السمعة حين ضمنت قوة عظمى معاهدة مع الصين، وبغير علم المفاوضين

الصينيين، مادة تنص على حقوق خاصة ما. ولعدة أعوام حصلت على فائدة من ذلك، ولكن الصينيين لم ينسوا ولم يغفروا الخدعة التى مورست معهم، ونشأ عنها بعضا من سوء النية بين الغرب والصين. ولا شك أن الدبلوماسيين عليهم دائما أن يضعوا أفضل وجه على مواقف غير سارة وأن يجدوا حججا مقبولة وأعذارا لتبرير بعض مظاهر السياسة أو حادثة تؤثر فى بلد ما بشكل مناوىء. وليس ثمة خطر فى هذا، وقد يفسر هذا وصف ورتون WORTON المشاغب للسفير بأنه رجل أمين أرسل للخارج لكى يكذب من أجل بلده. والواقع أن هذا الجانب من نشاط السفير، وهو تبرير مواقف بلده، وأعطاء أفضل تفسير للأحداث وكذلك تقديم بلده فى أكثر مظاهرها جاذبية، هو أمر مقبول بشكل عام كشىء طبيعى إذا ما تم فى حدوده المعقولة.

إن وسائل ومناهج الدبلوماسية يمكن تحديدها فى أربع وسائل رئيسية وتقليدية وبشكل يصعب تغيرها. المنهج الأول والطبيعى للدبلوماسية هو الاتجاه العام للصداقة والإقناع FRIENDLINESS AND PERSUATION ، والذى يعتمد على الجدل المهذب، والأسلوب القائم على العقل والمصلحة. أما النهج الثانى فهو الذى يتخلص فى المنحة GIFT ، ويتضمن هذا اتفاقيات قد تنطوى على خسارة، والحد من المصلحة، وباختصار شىء مفيد للطرف الآخر فى مقابل كسب أهدافه. ومثلما أشرنا من قبل فإن لا شىء مقابل لا شىء ، وهى قاعدة الدبلوماسية ولكسب هدف هام فإن على المرء أن يكون مستعدا للدفع، وأن يتنازل فى شىء وهذا هو طريق الحل الوسط، فإذا لم تنجح كلا الوسيلتين السابقتين: الأقناع، والحل الوسط، هنا يمكن التوصية بقطع العلاقات RUP-TURE وهنا تصبح الدبلوماسية عنيفة، وحيث يحاول كل طرف أن يخطىء الآخر فى أعين العالم. وأخيرا يأتى استخدام القوة، وحيث تصبح الحرب هى الملجأ الأخير. والدبلوماسية الطبيعية تتضمن مزيجا حكيما من الوسائل الثلاثة الأولى مع الإدراك الكامل أن الوسيلة الأخيرة وهى الحرب تبدو قريبة رغم أن الظروف قد لا تشجع على استخدامها، أو أن عدم التأكيد من نتائجها يمكن أن يمنع اللجوء إليها.

غير أن أسلوب القوة لا يعنى بالضرورة مساواته بالحرب. فثمة طرقا أخرى للضغط والذى يمكن أن يكون فعاله فى حالات معينة. وفى الفترة ما بين الحربين، فإن كلمة عقوبات SANCTIONS كانت شائعة الاستخدام. فقد استخدمت العقوبات لرد دولة مخطئة إلى صوابها. وأكثر الأمثلة شهرة فى هذه الفترة كانت حين حاولت عصبة الأمم

الضغط على موسولينى بهذه الطريقة. وحقيقة أن العقوبات التى استخدمت عندئذ كانت أساسا اقتصادية لا يجب أن تغمض أعيننا أن وسائل أخرى لا تصل إلى مرتبةالحرب مثل الحصار BLOCKADE ، والمقاطعة BOYCOTT ، ورفض حق المرور، يمكن أيضـــا أن تستخدم بفاعلية لممارسة ضغط على الدول.

أما الحرب فهى الفصل الآخر للدبلوماسية. فحين تستنفذ كل الوسائل والمناهج الأخرى، تحاول الأمم أن تكسب أهدافها عن طريق الحرب. وأساسا فهى محاولة لأن تكسب بالحرب ما عجزت الدبلوماسية عن تحقيقه بالعمل السلمى. غير أنه من الخطأ الظن بأن الدبلوماسية تنتهى حين تبدأ الحرب، أو أنها سوف تبقى مكتوفة الأيدى تنتظر نتيجة الصراع. وطبيعى أن كل جهد سوف يبذل من خلال الوسائل الدبلوماسية لإضعاف مقاومة العدو وتحقيق هزيمته فى الحرب وإن أمكن تقصير أمد الحرب بجعله يقبل الهزيمة.

وفى مناقشة وسائل الدبلوماسية فقد يكون مفيدا إذا ما ألحنا، وما سوف يتكرر فى مواضع أخرى، إلى المآزق والشراك التى تقع فى طريق الدبلوماسى والذى يتعلم تفاديها بالخبرة. إن أكبر عائق للدبلوماسى هو الحماس الزائد OVERZEALOUSNESS.إن التناول الهادىء والحكيم للمشكلات لا يتأتى تلقائيا بل يجب أن يغرس وينمى. غير أن مواقف جديدة، ووجهات نظر جديدة وفرص جديدة تثير حماس الرجال وتجعلهم غيورين على إنجاز الأشياء وتحقيق الاسم والشهرة والرغبة فى حل مشكلات وجد آخرون صعوبة فى حلها غالبا ما تؤدى برجال لا معين إلى هذا الخطأ. ومما لاشك فيه أن جميعنا لدينا أفكار حول حل مشكلات وقضايا كبرى بين الأمم، ولكن إذا طورنا ونحن فى هذا الحماس صيغا لتسوية هذه المشكلات دون أن نتذكر واقع القوة وراءها، فإننا فى الواقع نعرض وزارات خارجيتنا للمشكلات. إن نقطة الضعف في الناس المتحمسين هي تغاضيهم عن عامل القوة وخفض المشكلات إلى افتراضات أولية ومبسطة. ومن هنا كان تحذير تاليران TALEYRAND أن الدبلوماسى يجب أن يتفادى الحماس الزائد. والثغرة الثانية تنشأ من الطابع المصطنع للحياة الاجتماعية التى تحيط بالدبلوماسى. ورغم أن الدبلوماسى يعمل فى بلد معين فهو يتحرك وله وجوده فى مجتمع رفيع المستوى من زملائه والذى يعرف بالدوائر الدبلوماسية، Diplomtic circles. وهذا مجتمع صغير له قواعده الخاصة للسلوك، ومجاملاته وأكثر من ذلك تحيزاته ودائرته المغلقة. وفى كل عاصمة هناك مثل هذه المستعمرة الصغيرة، والتي بظروف وجودها، فإنها تبني أساسا علي مصادرها الخاصة.

وطبيعى، شأن كل المجتمعات الصغيرة فإن لها مشاجراتها الخاصة وخلافاتها وحسدها ومنافساتها بل ونصائحها والتى عاده لا تصل إلى علم الجمهور. ومن الأمور التى لا يمكن تجنبها أن كل دبلوماسى يتأثر بشكل ما بالمناخ والمزاج السائد فى المجتمع الذي يتحرك فيه، وإنه بهذا التأثر يمكن دون أن يقصد الإضرار بمصالح بلده. ويحدث هذا كثيراً بأكثر مما نتصور. وتتلون آراء الدبلوماسيين بمناخ المجتمع الدبلوماسى وتتطلب رجلا يمتلك استقلالا استثنائيا فى الفكر لكى يحافظ على موضوعية ملاحظاته وأحكامه.

وبالطبع ما زال قائما فى بعض العواصم الفكرة القديمة عن الهيئة الدبلوماسية DIP-LOMATIC CORPS . ولكن الهيئة الدبلوماسية بهذا الشكل ، يمكن فقط أن تتناول الأمور التى لها تأثير على الامتيازات والحقوق والمجاملات المستحقة للدبلوماسيين، ولكن دون أن يسبب هذا مشكلات سياسية.

وثمة مأزق آخر على كل دبلوماسى أن يتجنبه مثل ما يتجنب الخطيئة وهو الشعور بأنه يمثل القيم الأخلاقية الصحيحة SLEF - RIGHTEOU NESS، فالسفير لا يوفد إلى بلد آخر لكى يصحح الأمور فيها أو تنمية القيم الأخلاقية أو السلوك العام الصحيح. إن واجبه فقط هو حماية مصالح بلده. وإذا ما تعود الحكم على الأشخاص والمؤسسات أو حتى الأحداث وفقا لما يظن أنه مستويات بلده أو وفقا لبعض المبادىء الأخلاقية العامة، فإنه حتما سوف يصبح ناقدا معاديا وسوف يضعف قدرته على تنمية مصالح بلده. إن التسامح فضيلة يجب أن تذكى بشدة فى ممارسة الدبلوماسية.

وفى المحصلة الأخيرة، فإنه ليس هناك شيئا سريا أو غريبا حول الدبلوماسية أو الدبلوماسى، إنها العمل الرسمى لإدارة العلاقات بين الدول وهو محكوم بنفس القواعد لرجال أمناء يقبلون لإدارة العلاقات بينهم بالتعامل النزيه FAIR DEALING ، والاستقامة STRAIGHT FOR WARODNESS ، والاستعداد للتوصل إلى حلول وسط والالتقاء مع وجهة نظر الآخر دون التسليم فى الأمور الجوهرية. إنه فقط بغرس وتنمية حسن النية تستطيع الدبلوماسية أن تنتج آثارا فعالة.

وفى الحكم على نجاح أو فشل دبلوماسية بلد ما، فإن السؤال الرئيسى الذى تسأله هو ما إذا كانت مصالح البلد قد خسرت أو كسبت: وعما إذا كان أمنها قد ضعف، وعما إذا كانت تحظى بحسن نية حلفائها واحترام هؤلاء الذين لا يحملون صداقة لها. إنه لهذه

الأهداف تتوجه دبلوماسية البلد وإذا ما تحققت فإن غياب نتائج مثيرة لهو أمر لا يجب أن يكون مصدر قلق. والواقع فإنه ليس هناك شيئا يثير الشك في أعين الدبلوماسى من النتائج المثيرة. ولهذا نجد أن رجل دولة عظيم ينصح الدبلوماسيين بهذه الكلمات: فى الدبلوماسية، «فإن المرء لا يجب أن ينجح إلى درجة كبيرة.»

وفى نهاية الأمر، وإذا كنا نتحدث عن أهداف الدبلوماسية، وأهمية الوسائل والمناهج التى تستخدمها لتحقيق هذه الأهداف، فإنه سوف تخلق الافتقار إلى الثقة عند الدول الأخرى.

من الضرورى أن نؤكد أن فعالية أية دبلوماسية فى تحقيق أهدافها إنما يعتمد إلى حد كبير جدا على قوتها الداخلية، فإذا كانت الدولة فى حالة مزمنة من الحرب الأهلية، أو من الإفلاس المالى، فإن دبلوماسيتها رغم كفاءة أساليبها ، وقدرة دبلوماسييها لا يمكن أن تكون فعالة. فالتغير المستمر للحكومات، وتحولات السياسة والضعف الداخلى الذى يقود لعدم اليقين فى عمل الدولة، حتى ولو كانت فى مصاف الدول الكبرى ،يجعل لدبلوماسيتها أى ثقل. فوعود سفرائها سوف تقبل فقط بتحفظ، وسوف ينظر إلى مساعيها بحذر، وعروضها للتحالف أو التأييد بدون حماس، ولن يكون لما تعرب عنه من عدم ارتياح أو احتجاجات أى وزن. إن السياسة الخارجية يجب أن تعكس قوة واستقرار الدولة.